شرح العقيدة الواسطية

الدرس الخامس عشر

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أمّا بعد..

فدرسنا اليوم في شرح العقيدة الواسطية: مبحث القدر.

قال المؤلف رحمه الله: **(فصل: وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**

أمّا تعريف القدر فهو في اللغة: مصدر قدّرتُ الشيء، أُقدِّره، إذا أحطتُ بمقداره، وأمّا القضاء لغة فهو: الحكم والفصل، وشرعاً هو: ما قضى به الله سبحانه في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير؛ هذا تعريف القضاء والقدر شرعاً ولغة.

وقد اختلف العلماء في التفريق بين القضاء والقدر؛ فبعضهم قال: من الناحية الشرعية لا فرق بين القضاء والقدر.

والصحيح: أنّهما كلمتان إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا، بمعنى أنّ القضاء والقدر إذا اجتمعتا في الكلام افترقتا في المعنى، فيكون معنى القدر غير معنى القضاء على ما بيّنا سابقاً، وإذا افترقتا في الكلام اجتمعتا في المعنى؛ فيدخل في كلمة القضاء القدر ويدخل في كلمة القدر القضاء، ويكون المعنى شاملاً للخلق والإيجاد والإعدام والتغيير ولتقدير ذلك في الأزل، يكون المعنى شاملاً لهذا وهذا؛ هذا هو القول الصحيح في المسألة.

ونزيد توضيح الفرق بين القضاء والقدر بالمثال- ولله المثل الأعلى-: لو أنّك أردت أن تبني بيتاً أول أمرٍ تفعله هو أنّك تذهب إلى مهندس ليرسم لك خريطة البيت؛ طوله، وعرضه، وعدد غرفه، أين يقع المطبخ؟ أين يقع الحمام؟ ...إلخ؛ هذا يُسمى تقديراً، ثم

تذهب إلى المقاول كي يباشر العمل، فيُطبق الخريطة على الواقع؛ هذا الذي يسمى القضاء، ولله المثل الأعلى؛ هذا مثال فقط لتقريب المعنى للأذهان.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن يؤمنوا بالقضاء والقدر؛ لقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}؛ وهذا كلّه وغيره كثيرٌ يدلّ على إثبات القضاء والقدر، وجاء في حديث جبريل في "الصحيحين" عندما سأل النبيّ ﷺ عن الإيمان قال في آخره: "وأَنْ تُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ"؛ كلّه من عند الله تبارك وتعالى.

الخير: ما يُلائم طبيعة الإنسان.

والشرّ: ما لا يلائم طبيعة الإنسان.

وهل يُقال إنّ في قدر الله شرًّا؛ وقد قال ﷺ: "والشرّ ليس إليك"؟

أجاب أهل العلم عن هذا فقالوا: الشرّ في القدر ليس باعتبار تقدير الله له؛ لكنّه باعتبار المقدور له، يعني: ما قدّره الله سبحانه وتعالى- ما هو من فعل الله- لا يكون شرّاً أبداً، فعندنا قدر ومقدور كما عندنا خلق ومخلوق، فباعتبار تقدير الله له؛ ليس بشرٍّ، بل هو خير حتى وإن كان لا يُلائم الإنسان ويؤذيه ويضرّه، لكن باعتبار المقدور؛ فنقول: المقدور إمّا خير وإمّا شرٌّ، فـ "القدر خيّره وشرّه" يُراد به المقدور خيره وشرّه.

وضرب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه على "الواسطية" مثلاً لهذا الكلام الذي تقدم؛ فقال: (ونضرب لهذا مثلاً في قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}؛ قال: ففي هذه الآية بيّن الله عزّ وجل ما حدث من الفساد وسببه والغاية منه، فالفساد شرٌّ وسببه عمل الإنسان السيء والغاية منه: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} فكون الفساد يظهر في

البرّ والبحر فيه حكمة، فهو نفسه شرٌّ؛ لكن لحكمة عظيمة بها يكون تقديره خيراً، كذلك المعاصي والكفر شرٌّ وهو من تقدير الله؛ لكن لحكمة عظيمة، لولا ذلك لبطلت الشرائع، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً).

هذا ما يتعلق بمبحث الخير والشرّ.

قال المؤلف رحمه الله: **(فصلٌ: وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ: فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ ما الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا)**

إذن: عندنا للقدر مراتب، من آمن بهذه المراتب؛ فهو مؤمن بالقدر، ومن لم يؤمن بها؛ فليس بمؤمن بالقدر، هذه المراتب هي أربع مراتب جعلها المؤلف رحمه الله في درجتين، وجعل لكلّ درجة مرتبتين؛ هي بالجملة أربع مراتب:

الأولى: الإيمان بأنّ الله عَلِم ما الخلق عاملون بعلمه القديم، أي: مرتبة العلم، أن تؤمن بعلم الله في كلّ شيء، الله سبحانه وتعالى عَلِم كلّ شيء، فالله سبحانه وتعالى لا يجهل شيئاً؛ لا أفعال العباد ولا غيرها، {أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}، {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة متواترة، ولا يُنكر هذه المرتبة مؤمن، ومن أنكرها كفر؛ فهو يصف الله تبارك وتعالى بالجهل، وممن أنكرها القدرية القدامى: نُفاة العلم، وهؤلاء الذين ينفون العلم كفّرهم السلف، فبالاتفاق أنّهم كفّار وليسوا مسلمين.

(الإيمان بأنّ الله عَلِم ما الخلق عاملون بعلمه القديم) أي: عِلمُه الأول الذي لا ابتداء له.

(الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً) العلم: عِلم الله تبارك وتعالى، الله سبحانه وتعالى موصوف بالعلم أزلاً، يعني: من القدم، ليس عندنا وقت في الماضي نستطيع أن نقف

عنده ونقول بدأ العلم من ذاك الوقت، لا، ما له بداية، من القديم وهو موصوف بالعلم، وأبداً: أي إن علمه باقٍ إلى الأبد، ليس عندنا وقت ينتهي إليه، نقول سينتهي علمه عند ذاك الوقت؛ لا.

قال: **(عَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ)**

كلّ ذلك معلوم كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود: "إنّ أَحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ"، ثم ذكر أطوار الجنين في بطن أمّه، ثم قال: "ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكاً فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِماتٍ وَيُقالُ: اكْتُبْ: عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وشَقِيٌّ أوْ سَعيدٌ"، كلّ هذا يُكتب بناءً على عِلم الله تبارك وتعالى بهذا كلّه؛ هذه المرتبة الأولى، وكما ذكرنا: خالفت فيها غلاة القدرية الذين ينفون عِلم الله تبارك وتعالى وهؤلاء كفّار بالاتفاق، وهؤلاء- تقريباً- لا وجود لهم اليوم.

قال: **(ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ)**

هذه المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة؛ كتب الله تبارك وتعالى في اللوح المحفوظ- لوح عند الله تبارك وتعالى؛ هذا ما وُصف لنا منه- كتب فيه ربنا تبارك وتعالى مقادير كلّ شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الأدلة الصحيحة.

قال: **(فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**

هكذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ؛ قال له: اكْتُبْ؟ قال القلمُ: ما أَكْتُبُ؟ قال: اكْتُبْ ما هو كائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ"، إذن فالله سبحانه وتعالى عَلِم ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، وكتبه عنده في اللوح المحفوظ؛ وهذا يشمل ما الخلق فاعلون من كفرٍ وإيمان وطاعة ومعصية وغير ذلك.

قال: (فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِيُصيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلاَمُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَما قالَ سبحانه وتعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ})

لأنّ كلّه مكتوب عند الله تبارك وتعالى ومقدّر عليه، كما قال النبي ﷺ لابن عباس: "واعْلَمْ أنَّ النّاسَ لو اجْتَمَعوا على أنْ يَنْفَعوكَ بِشَيءٍ لَنْ يَنْفَعوكَ إلّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لكَ، ولو اجْتَمَعوا على أَنْ يَضُرّوكَ بِشيءٍ لَنْ يَضُرّوكَ إلّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"، انتهى كلّ شيء، من آمن بهذه الكلمات حقَّ الإيمان؛ توكل على الله تبارك وتعالى، واعتمد عليه في كلّ أمره بحقٍّ، ولم يتعلق قلبه في طلب الرزق والحاجات بالناس والمخلوقين.

قال: (جَفَّتِ الأَقْلاَمُ) أي: أقلام القدر التي كتبت بها المقادير.

قال: (وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ) التي كتبت فيها المقادير.

قال: (كَمَا قَالَ سبحانه تَعَالَى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ})

هذه الأدلة يسوقها المؤلف: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} إذن: هذا عِلم الله تبارك وتعالى واسع لكلّ شيء، {إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} قد كتب كلّ ذلك في كتاب عنده، أي: في اللوح المحفوظ، {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} لا يعسر عليه شيء تبارك وتعالى.

قال: (وَقَالَ: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ})

{مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها} أي: من قبل أن نخلقها وهي موجودة في الكتاب.

قال: (وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ)

أي: هذا التقدير من أين جاء؟ هو تابع لعِلم الله، عَلِم الله سبحانه وتعالى؛ فكتب.

قال: (يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً)

في بعض المواضع يكتبه بالتفصيل، وبعض المواضع يكتبه بالجملة.

قال: (فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؛ وَنَحْوَ ذَلِكَ)

إذن كلّ شيء يُكتب؛ لكنه في بعض المواضع يُكتب بالتفصيل وفي بعض المواضع يُكتب بالجملة، وهذا الحديث الذي ذكره المؤلف في "الصحيحين" هو حديث عبد الله بن مسعود؛ حديث الكتابة.

قال: (فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ)

الذي هو العلم والكتابة.

قال: (وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ)

وضع المؤلف العلم والكتابة اللذان هم مرتبتان في درجة واحدة- مرتبة العلم ثم مرتبة الكتابة وضعهما في درجة واحدة-، ثم انتقل إلى الدرجة الثانية ووضع فيها مرتبتين؛ وهما مرتبة المشيئة ومرتبة الخلق.

قال: (فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُن)

هذه الدرجة الثانية: درجة المشيئة، أن تؤمن أنّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كما

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً}، وقال:{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا}، وقال: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، هذه الآيات كلّها وغيرها من الآيات والأحاديث تدلّ على مشيئة الله تبارك وتعالى النافذة.

قال: **(وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ؛ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ)**

لا شيء يخرج عن مشيئة الله تبارك وتعالى في هذا الكون، كلّ شيء يشاؤه الله سبحانه وتعالى، كُفر الكافر يشاؤه الله سبحانه وتعالى، لو لم يشأ الله كفر الكافر لما كَفَر.

بعض الناس يفهم من هذا: الجبر؛ أنّ الله سبحانه وتعالى جبره وألزمه بالكفر؛ لا، هذا باطل، هذا الفهم غير صحيح، العبد يفعل بقدرته وإرادته التي أعطاه الله سبحانه وتعالى إياها، فهو يختار ما بين الكفر والإيمان؛ لكنّه إذا اختار الكفر لا يعني ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد الإيمان لا يقدر على أن يجعله مؤمناً، لا؛ كلّ شيء يحصل في هذا الكون فهو بمشيئة الله تبارك وتعالى.

قال: **(لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ)**

لا يمكن أن يكون في مُلك الله ما لا يريده الله.

والإرادة قسمان: إرادة شرعية وإرادة كونية.

الإرادة الشرعية: هي ما يحبه الله ويرضاه، فكلّ ما أمر الله تبارك وتعالى به في الكتاب أو في السنة فهو يحبّه ويرضاه، فهو يريده شرعاً أن يكون، لكن لا يلزم أن يكون أي يوجد، فالله سبحانه وتعالى يريد من النّاس جميعاً أن يؤمنوا إرادة شرعية، لكن آمن

البعض وكفر البعض.

والإرادة الثانية: الإرادة الكونية؛ وهذه تتعلق بما وقع، فكلّ ما يقع في هذا الكون فيريده الله كوناً، لا شيء يخرج عن إرادة الله الكونية، والمشيئة بمعنى الإرادة الكونية، فكلّ شيء واقع؛ أراده الله كوناً، كُفر الكافر أراده الله كوناً ولم يرده شرعاً، بهذا تُفرّق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؛ فالكفر يَبغضه الله، لا يحبه، فليس هو مراداً شرعاً له، ولكن كونه وقع؛ إذن فيريده الله كوناً؛ لأنّه لا شيء يخرج عن إرادة الله تبارك وتعالى الكونية.

قال: **(وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ)**

الله سبحانه وتعالى قدرته تامة كاملة، {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} سواء كان هذا الشيء موجوداً أو كان معدوماً؛ فالله سبحانه وتعالى قادر على كلّ شيء.

قال: **(فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ)**

إذن كلّ شيء في هذا الكون من المخلوقات فهو مخلوق لله تبارك وتعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}، {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} فكل هذا الخلق خلقٌ لله تبارك وتعالى بما في ذلك أفعال العباد؛ كلّها مخلوقة لله، لكنّ العبد لا يُكره على الكفر، عندما يَكفر يَكفر بإرادته، ومعنى أنّ الله سبحانه وتعالى خلقه، ففعل العبد من كفر وإيمان لا يحصل إلّا بإرادته وقدرته، وإرادته وقدرته مخلوقة لله تبارك وتعالى.

قال: **(لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ، وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ)**

هو الذي خلقهم، وهو الذي أمرهم بطاعته، فمنهم من يُطيع ومنهم من لا يُطيع، فالله سبحانه وتعالى خلقهم؛ خلق لهم إرادة وخلق لهم قدرة، ولهم اختيار، وأمرهم بالطاعة ونهاهم عن المعصية.

قال: **(وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ)**

أي: العادلين في أحكامهم {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}

قال: **(وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ)**

أي: الأفعال القبيحة والسيئة والمنكرة.

قال: **(وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُم)**

كيف تجمع بين أنّ الله سبحانه وتعالى قدّر أفعال العباد وأرادها كوناً وبين كون العبد فاعلاً حقيقة ؟

بأن تعلم أنّ العبد لا يفعل أفعاله إلّا بإرادته وقدرته، والإرادة والقدرة مخلوقتان لله، فأفعال العبد مخلوقة لله لكنّ العبد يفعل فعلاً حقيقياً؛ يختار ما بين الكفر والإيمان حقيقة، والله خالق أفعالهم، كما قال الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة وبيّن أنّه خالق كلّ شيء وأنّه خلق العباد وخلق أفعالهم.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ)**

انظر! المؤلف يحاول أن يبين لك كيف تفهم هذه الحقيقة وهي: أنّ الله سبحانه وتعالى خالق كلّ شيء، ومن ذلك أفعال العباد، وأنّ العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة؛

قال: (وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً وَاللهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُم) لا يُؤمن العبد بالقدر إيماناً تاماً حتى يؤمن بهاتين الفقرتين:

الأولى: العباد فاعلون حقيقة.

الثانية: الله خالق أفعالهم.

لا بد أن تجمع بين هذين الأمرين حتى تُخالف أهل البدع والضلال.

قال: (وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ) إذن فهو يفعل حقيقة، يفعل إيمانه، يفعل كفره؛ كله بيده.

(وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ) البرّ: الصالح المطيع، والفاجر: العاصي.

قال: **(وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ)**

خلقها الله سبحانه وتعالى لهم.

قال: **(وَلَهُمْ إِرَادَةٌ)**

ويفعلون بقدرتهم وإرادتهم.

قال: **(وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخالِقُ وَقُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ})**

{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} أثبت الله تبارك وتعالى له مشيئة، ثم قال: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} فلا يمكن للكافر أن يكفر والله سبحانه و تعالى لا يشاء له الكفر أبداً؛ لأنّه لا شيء في هذا الكون يخرج عن مشيئة الله، لو أراد الله له الإيمان لآمن، لكنّ الله سبحانه وتعالى تركه واختياره.

قال: **(وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسِ هَذِهِ الأُمَّةِ)**

هذه الدرجة التي هي درجة المشيئة والخلق؛ أنّ الله سبحانه وتعالى شاء أفعال العباد التي وقعت من إيمان وكفر وغير ذلك، وهو الذي خلقها؛ هذه الدرجة يُكذب بها عامة القدرية.

وقوله: (الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسِ هَذِهِ الأُمَّةِ) هو حديث ضعيف في هذا لا يصحّ، ولكنهم يشتركون مع المجوس في كون المجوس قد أثبتوا خالقين وهؤلاء كذلك قد أثبتوا خالقين، يقولون: الله سبحانه وتعالى خالقُ الأشياء كلّها والعباد خالقون لأفعالهم، أفعال العباد هذه ليست داخلة تحت خلق الله، الله سبحانه وتعالى لم يخلقها ولا هي داخلة تحت مشيئته، فالعبد هو يشاء من نفسه ويخلق بنفسه أفعاله، فلو شاء الله سبحانه وتعالى من العبد الإيمان وشاء العبد الكفر؛ يحصل الكفر ولا يحصل الإيمان؛ فجعلوا مشيئة العبد أقوى من مشيئة الله في هذا.

قال: **(وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ)**

هؤلاء الجبرية الذين خالفوا في هاتين المرتبتين؛ هم: القدرية والجبرية.

القدرية: عامتهم- جميع القدرية- يُخالفون في هذه المسألة وهي المشيئة والخلق، فالقدرية لا يُثبتون أنّ الله سبحانه وتعالى شاء أفعال العباد ولا خلقها.

الجبرية: بالعكس يقولون الله سبحانه وتعالى شاءها وخلقها، والعبد لا قدرة له على شيء، وحركاته وتصرفاته بمنزلة تحرك ورقة الشجر في مهبّ الريح، لا حول لها ولا قوّة، كذلك بالنسبة للعبد عندهم، فالعبد مجبور على كلّ شيء؛ وهذا باطل وذاك باطل، وقد ذكرنا طريقة الجمع بين الأمرين، ولكنّ أهل البدع كعادتهم يأخذون ببعض الأدلة ويتركون البعض الآخر.

قال: **(وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا)**

يعني: أنّ الله سبحانه وتعالى لا يفعل لحكمة ولا يفعل لمصلحة، هكذا عندهم الأمر،

فهو يفعل ويحكم لمجرد مشيئته، لأنّه شاء فعل فقط، ولهذا يُثيب المطيع وإن كان المطيع مجبراً على فعله، ويعاقب العاصي وإن كان العاصي مجبراً على فعله، ويقولون: هذا ليس بظلم؛ لأنّ الظلم عندهم: التصرف في ملك الغير، فالله سبحانه وتعالى متصرف في ملكه- هكذا عندهم هؤلاء- وهذا ضلال عريض، والحقّ ما ذكرناه من عقيدة أهل السنة والجماعة وبها تجتمع الأدلة.

ونكتفي بهذا القدر والحمد لله ربّ العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.